ويذكرون لامرء القيس قصيدة مع عمرو الجني واشعارا لهما كرهنا ذكرها لطولها
وقال عبيد بن ايوب

فلله در الغول اي رفيقة — لصاحب قفر خايف متقفر
ارنت بلحن بعد لحن واوقدت — حوالي نيرانا تبوخ وتزهر

وقال ذو الرمة بعد قوله

فداعسف النازح المجهول معسفه — في ظل اخضر يدعو هامه البوم
للجن بالليل في حافاتها زجل — كما تناوح يوم الريح عيشوم
دوية ودجا ليل كانهما — يم تراطن في حافاتها الروم

وقال ايضا

وكم عرست بعد السرى من معرس — لها من كلام الجن اصوات سامر

وقال ٢

ورمل عزيف الجن في عقباته — هزيز كتضراب المغني بالطبل

وان كان القوم يعتقدون كلام الجن ويخاطبونهم ويحكمون عنهم وذلك القدر المحكي لا يبين بذاته على فصاحة العرب صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الانس ويبين ذلك من القران ان الله تعالي حكي عن الجن ما تفاوضوا فيه من القران فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الي قومهم منذرين الي اخره ما حكي عنهم فيما يتلوه فاذا ثبت انه وصف كلامهم ووافق ما يعتقدونه من نقل خطابهم صح ان يوصف الشيء المالوف فانه ينحط عن درجة القران في الفصاحة وهذا من الجواب اسد عندي من جواب بعض المتكلمين عنه فان عجز الانس عن القران يثبت له حكم الاعجاز فلا يعتبر غيره الا تري انه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه فقال لنا قائل قد دلوا علي ان الملايكة تعجز عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بيناها وانما قد ضعفنا هذا الجواب لان الذي حكي وذكر عجز الجن والانس عن الاتيان بمثله فيجب ان نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ولو كان وصف عجز الملايكة عنه لوجب ان نعرف ذلك ايضا بطريقه فان قيل انتم قد انتهيتم الي ذكر الاعجاز في التفاصيل وهذا الفصل انما يدل علي الاعجاز في الجملة قيل هذا كما انه يدل علي الجملة فانه يدل علي التفصيل ايضا فصح ان يلحق بهذا القبيل كما كان يصح ان يلحق بباب الجمل ومعني سادس وهو ان الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق *

والا

٧

والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجود في القران وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والابداع والبلاغة وقد ضمنا بيان ذلك من بعد لان الوجه هاهنا ذكر المقدمات دون البسط والتفصيل ومعني سابع وهو ان المعاني التي تضمنها في اصل وضع الشريعة والاحكام والاحتجاجات في اصل الدين والرد علي الملحدين علي تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر علي البشر ويمتنع ذلك انه قد علم ان تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المالوفة * والاسباب الدائرة بين الناس اسهل واقرب من تخير الالفاظ لمعان مبتكرة واسباب مؤسسة مستحدثة فاذا برع اللفظ في المعني البارع كان الطف واعجب من ان يوجد اللفظ البارع في المعني المتداول المتكرر والامر المتقرر المتصور ثم انضاف الي ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تضمن تاييد ما يبتدا تاسيسه ويراد تحقيقه بان التفاضل في البراعة والفصاحة ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعني والمعاني وفقها لا يفضل احدهما علي الاخر فالبراعة اظهر والفصاحة اتم ومعني ثامن وهو ان الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بان تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام او تقذف ما بين شعر فتاخذه الاسماع وتتشوف اليه النفوس ويري وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به كالدرة التي تري في سلك من خرز وكالياقوتة في واسطة العقد وانت تري الكلمة من القران يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادي علي نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه وهذا الفصل ايضا مما يحتاج فيه الي تفصيل وشرح ونص * ليتحقق ما ادعيناه منه ولولا هذه الوجوه التي بيناها لم يتحير فيه اهل الفصاحة ولكانوا يفزعون الي التمحل للمقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في امرهم ويراجعون انفسهم او كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم ان اهل المعرفة منهم بالصنعة انما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه ولا يمتنع ان يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ومتقدما في الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم الا بعد نظر وتامل وحتى نعرف حال عجز غيره الا انا راينا صناديدهم واعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحققا بظهور العجز وتبينا له واما قوله تعالي حكاية عنهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)